غزوات المصطفى ﷺ

(١١)

غَزْوَةُ مُؤْتَة..

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

ما يُبكيكَ يا ابْنَ رَوَاحَةَ ؟

بَعْدَ أَنِ اسْتَرَاحَ المُسْلمونَ مِنْ يَهُودِ المَدِينَةِ المنوَّرَةِ ، رَاحَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم يُوَسِّعُ دَائِرَةَ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالىٰ .

وَاسْتَخْدَمَ كَثيراً مِنَ الأَسَالِيْبِ ، مِنْها : إِرْسَالُ الكُتُبِ وَالرَّسَائِلِ إِلَىٰ المُلُوكِ وَالسَّلاطِيْنِ ، يَدْعُوهُمْ فِيها ـ وَشُعُوبَهُم ـ إِلَىٰ دِيْنِ الإِسْلامِ .

مِنْ ذٰلِكَ مَثَلاً : إِرْسَالُهُ كِتاباً إِلىٰ مَلِكِ بُصْرَىٰ في بلادِ الشَّامِ ، وَذٰلِكَ مَعَ الصَّحابِيِّ (الحَارِثِ بْنِ عُميرٍ الأَزْدِيِّ) رضِيَ اللهُ عَنْهُ .

وَلَمَّا وَصَلَ إِلَىٰ (مُؤْتَةَ) لَقِيَهُ شُرَحْبيلُ بْنُ

عُمْرِو الغَسَّانِيُّ ، وَلَمَّا عَلِم أَنَّهُ رَسُولُ رسولِ اللهِ رَبَطَهُ ، ثُمَّ قَتَلَهُ شَرَّ قِتْلَةٍ!!

وَلَمَا وَصَلَ الخَبَرُ إِلَىٰ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم قَرَرَّ تَأْدِيبَ مُشْرِكي بِلادِ الشَّامِ ، فَنَدَبَ المُسْلمينَ لِلزَّحْفِ إِلَىٰ مُؤْتَةَ .

وَتَجَمَّعَ مِنَ المُسْلمينَ ثَلاثَةُ آلاَفِ رَجُلٍ ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِم ثَلاثَةَ أُمَرَاءَ ، الواحِدَ تِلْوَ الآخَرِ ، وَذَلِكَ بِقَوْلِهِ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ : « إِنْ قُتِلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَإِنْ أُصِيْبَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللهِ ابْنُ رَوَاحَةَ ، فَإِنْ قُتِلَ عَبْدُ اللهِ فَلْيَرْتَضِ المُسْلِمُونَ رَجُلاً فَيَجْعَلُوهُ عَلَيْهِمْ » .

وَعَلَىٰ جَنَاحِ السُّرْعَةِ اسْتَعَدَّ المُسْلِمُونَ لِلْمَسِيرِ إِلَىٰ مُؤْتَةَ ، وَلَيْلَةَ الوَدَاعِ رَاحَ (عَبْدُ اللهِ ابْنُ رَوَاحَةَ) يَبْكي .

فَقَالُوا : مَا يُبْكِيكَ يَا بْنَ رَوَاحَةَ ؟

فَقَالَ : أَمَا وَاللهِ مَا بِي حُبُّ الدُّنيا ، وَلاَ حَبَابَةً بِكُمْ ، ولٰكِنِّي سَمِعْتُ الرَّسُولَ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، يَذْكُرُ فيها النَّارَ :

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم : ٧١] ، فَلَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ لِي بِالصَّدْرِ بَعْدَ الوُرودِ .

* * *

وَصَايَا القَائِدِ الرَّحِيمِ

ثُمَّ التَفَتَ (عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ) إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مُوَدِّعاً ، وَقَالَ :

فَثَبَّتَ اللهُ مَا آتَاكَ مِنْ حُسْنٍ
تَثْبِيتَ مُوسَىٰ وَنَصْراً كالَّذِي نُصِرا

إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الخَيْرَ نَافِلَةً
اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي ثَابِتُ البَصَرِ

أَنْتَ الرَّسُولُ فَمَنْ يُحْرَمْ نَوَافِلُهُ
وَالوَجْهُ مِنْهُ فَقَدْ أَزْرَىٰ بِهِ القَدَرُ

وَكَانَتْ آخِرَ لَحَظَاتِ الوَدَاعِ وَصِيَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ فِيها :

« إِنَّكَ قَادِمٌ غَداً بَلَداً ، السُّجُودُ بِهِ قَلِيلٌ ، فَأَكْثِرِ السُّجُودَ » .

ثُمَّ التَفَتَ الرَّسُولُ إِلَىٰ الجُنُودِ وَأَوْصَاهُمْ قائلاً : « اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ ، وَقَاتِلُوا عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ بالشَّامِ ، وَسَتَجِدُونَ فيهِمْ رِجَالاً في الصَّوامِعِ مُعْتَزِلينَ مِنَ النَّاسِ فَلا تَعَرَّضُوا لَهُمْ ، وَسَتَجِدُونَ آخَرِينَ لِلشَّيطَانِ في رُؤوسِهِمْ مَفَاحِصُ[1] فَافْلِقُوهَا بالسُّيُوفِ ، وَلاَ تَقْتُلُوا امْرَأَةً وَلاَ صَغِيراً ضَرعاً[2] ، وَلاَ كَبيراً فَانِياً ، وَلاَ تَقْطَعُنَّ شَجَرةً ، وَلاَ تَعْقِرُنَّ نَخْلاً[3] ، وَلاَ تَهْدِمُوا بَيْتاً... » .

---

(١) أي : اتَّبَعُوا الشَّيْطانَ في أقْوالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ .

(٢) أي : نَحيفاً ضَاوِيَ الجِسْمِ .

(٣) أي : لا تَقْطَعُوا من رُؤوسِها .

وسَارَ الرَّسُولُ مَعَ الجَيْشِ إِلَىٰ ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ ، وَهُناكَ كَانَ الوَدَاعُ صَعْباً ومُؤَثِّراً!

❊ ❊ ❊

إِنَّما هِيَ إِحْدَىٰ الحُسْنَيَيْنِ

وَلَمَّا وَصَل جُنُودُ الجَيْشِ الإِسْلامِيِّ إِلَىٰ مَدِينَةِ (مُعَانَ) في الأُرْدُنِّ ، بَلَغَهُمْ أَنَّ هِرَقْلَ قَدْ نَزَلَ فِي مَدِينَةِ (مَآبَ) وَمَعَهُ مِئَةُ أَلْفٍ مِنَ الرُّوْمِ ، إِضَافَةً إِلىٰ مِئَةِ أَلْفٍ أُخْرَى مِنْ نَصَارَىٰ بِلادِ الشَّامِ!!

وَتَشَاوَرَ المُسْلِمُونَ فِيما بَيْنَهُمْ : كَيْفَ نُقَاتِلُ هَذَا العَدَدَ الكَبِيرَ مِنَ الجُنُودِ الرُّومَانِ ، هَلْ يَسْتَطِيعُ الوَاحِدُ مِنَّا أَنْ يُجَابِهَ سَبْعِينَ وَاحِداً مِنْهُمْ ؟!

وَوَقَفَ (ابْنُ رَوَاحَةَ) يَقُولُ : يَا قَوْمِ! وَاللهِ إِنَّ

الَّتي تَكْرَهُونَ لَلَّتي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ : الشَّهادَةُ ، وَمَا نُقَاتِلُ النَّاسَ بِعَدَدٍ وَلاَ كَثْرَةٍ ، وَمَا نُقَاتِلُهُمْ إلاَّ بِهَذَا الدِّينِ الَّذي أَكْرَمَنَا اللهُ بِهِ ، فَانْطَلِقُوا فَإِنَّما هِيَ إِحْدَىٰ الحُسْنَيَيْنِ : إِمَّا نَصْرٌ ، وَإِمَّا شَهَادَةٌ في سَبِيلِ اللهِ!!

وَعِنْدَئِذٍ دَبَّ الحَمَاسُ في نُفُوسِ المُسْلِمينَ ،وَانْقَضُّوا عَلَىٰ العَدُوِّ ، وَكَانَ في مُقَدِّمَتِهِمْ (ابْنُ رَوَاحَةَ) ، وَالْتَحَمَ الجَيْشَانِ ، وَاسْتَبْسَلَ الجُنُودُ المُسلمونَ وَهُمْ يُرَدِّدُونَ : اللهُ أَكْبَرُ.. حَيَّ عَلَىٰ الجِهَادِ ، وَلٰكِنَّ أَحَدَ الرُّومَانِ طَعَنَ (زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ) طَعْنَةً قَوِيَّةً ، فَسَقَطَ عَلَىٰ الأَرْضِ شَهِيداً .

فَأَخَذَ اللِّواءَ (جَعْفَرٌ) ـ وَكَانَ عُمُرُهُ ثَلاثاً وَثلاثينَ سَنَةً ـ ، فَقَاتَلَ قِتَالاً عَظيماً ، وَلَمَّا حَمِي الوَطيسُ نَزَلَ مِنْ عَلَىٰ فَرَسِهِ ، وَأَلْقَىٰ بِنَفْسِهِ بَيْنَ

جُموعِ الرُّومَانِ وَهُوَ يَتَغَنَّىٰ بالاقْتِرَاب مِنَ الشَّهَادَةِ :

يـا حبّـذَا الجَنَّـةُ وَاقْتِـرَابُهـا

طَيِّبَـةً وَبَـارِداً شَـرَابُهـا

والرُّوْمُ رُوْمٌ قَدْ دَنَا عَذَابُها

كَـافِـرَةً بَعيـدةً أَنْسَـابُهـا

عَلَيَّ إِذْ لاَقَيْتُها ضِرَابُها

فَانْهالُوا عَلَيْه ضَرْباً ، حتىٰ قُطِعَتْ يَمِينُهُ ، فَحَمَلَ الرَّايَةَ في اليُسْرَىٰ ، فَقَطَعُوا لَهُ اليُسْرَىٰ ، فَاحْتَضَنَهُ بِصَدْرِهِ ، حَتَّىٰ سَقَطَ شَهِيداً .

فَحَمَلَ الرَّايَةَ (ابْنُ رَوَاحَةَ) ، فَقَاتَلَ قِتَالَ الأَبْطَالِ البَوَاسِلِ ، وَكَانَتْ أُمْنِيَتُهُ أَنْ يَلْحَقَ بِصَاحِبَيْهِ ، وَكَانَ يُنْشِدُ :

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لِتَنْزِلَنَّهْ

لَتَنْزِلَنَّ أَوْ لتُكْرِهَنَّهْ

إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ[1] وشَدُّوا الرَّنَّهْ[2]

مَا لِي أَرَاكِ تَكْرَهِينَ الجَنَّهْ ؟!

وَبَقِيَ يُقاتِلُ حَتَّىٰ أَكْرَمَهُ اللهُ بِالشَّهَادَةِ في سَبِيْلِهِ .

* * *

---

(١) أي : إِنِ اجْتَمَعُوا .

(٢) أي : أَحْدَثوا أَصْواتاً ـ في فَرَحٍ أَوْ حُزْنٍ ـ .

خُطَّةُ أَبِي سُلَيْمانَ خَالِدٍ

وَتَشَاوَرَ المُسْلِمونَ حَوْلَ : مَنْ سَيَقُودُ المَعْرَكَةَ ؟

وَكَانَ الإِجْمَاعُ عَلَىٰ (خَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ) ، فاسْتَلَمَ الرَّايَةَ وَقَاتَلَ قِتَالاً شَدِيداً ، حَتَّى تَكَسَّرَتْ في يَدِهِ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ!

لٰكِنَّهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دَرَسَ المَسْأَلَةَ فَوَجَدَهَا مُعَقَّدَةً ، فَاتَّخذَ الحِنْكَةَ الحَرْبيَّةَ وَالخَدِيْعَةَ ، بِحَيْثُ عَمَدَ إِلَىٰ تَغْيِيْرِ مَوَاقِعِ فِرَقِ الجَيْشِ ، فَوَضَعَ المَيْمَنَةَ مَكَانَ المَيْسَرِةِ ، وَوَضَعَ المُقَدِّمَةَ مَكَانَ المُؤَخِّرَةِ .

وَلَمَّا اسْتَيْقَظَ الرُّومَانُ وَجَدُوا أَنَّ الرَّايَاتِ في الجَيْشِ الإسْلامِيِّ غَيْرُ الرَّايَاتِ الَّتي كَانَتْ مِنْ قَبْلُ ، وَدَبَّ اللهُ في قلوبِهِمُ الرُّعْبَ وَالخَوْفَ ، وَأَمَر (خَالِدٌ) المُسْلِمينَ أَنْ يَشُدُّوا عَلَيْهم تَارَةً ، وَيَنْسَحِبُوا أَمَامَهُمْ تَارَةً أُخْرىٰ .

فانْسَحَبَ الرُّومُ إِلَىٰ الوَرَاءِ ، وَبِذَلِكَ انْتَصَرَ المُسْلِمُونَ نَصْراً مُؤَزَّراً .

* * *

أَوْسِمَةٌ لاَ مَثِيلَ لَهَا!!

وَعَادَ المُسْلِمُونَ إِلىٰ المَدينةِ المنوَّرَةِ ، فَخَرَجَ المُسْلِمُونَ لاسْتِقْبَالِهِمْ ، فَقَالَ لَهُمُ البَعْضُ : يَا فُرَّارُ ، فَرَرْتُمْ مِنَ المَعْرَكَةِ!

فَرَدَّ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ قَائلاً : « لَيْسُوا بِالفُرَّارِ ، لٰكِنَّهُمُ الكُرَّارُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالىٰ » .

ثُمَّ نَظَرَ إِلىٰ خَالِدٍ وَدَعا لَهُ بِقَوْلِهِ : « اللَّهُمَّ هُوَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِكَ ، فَانْصُرْهُ » .

وَلَمَّا رَأَىٰ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ أَوْلادَ جَعْفَرٍ بَكَىٰ ، وَقَالَ : « هٰذَا شَوْقُ الحَبِيبِ إِلَىٰ حَبِيبِهِ » وَلَقَّبَهُ : ذَا الجَنَاحَيْنِ .

... وَهٰكَذَا أَدَّبَ اللهُ الرُّومَ عَلَىٰ أَيْدِي المُسْلمينَ ، وَكَانَتْ مَوْقِعَةُ مُؤْتَةَ بِدَايَاتِ الفُتُوحَاتِ الإِسْلامِيَّةِ خَارِجَ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ ، وَكَانَ ذَلك في السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ .

وآخرُ دَعْوانا أَنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ

* * *